صدر عن حزب حرَّاس الأرز ــ حركة القوميّة اللبنانية، البيان التالي:

تضمّن خطاب الرئيس جورج بوش الذي إفتتح به ولايته الثانية جملة مبادىء وقيم إنسانية لم نعهدها في غيره من رؤساء العالم الحرّ وقادته، وأسمى ما فيها إنها تمحورت حول قيمة عظيمة هي الحرّية، وعظمة الحرّية إنها الصفة الثالثة من صفات الله الأساسيّة إلى جانب المحبّة والمعرفة بحسب الثالوث الإيديولوجي في عقيدة حرَّاس الأرز، وتأتي قبل الديمقراطية على إعتبار إن الديمقراطية تنبثق عن الحرّية، وهي إحدى إفرازاتها لا العكس، ولا وجود للديمقراطية من دون حرّية.

لقد ردّدَ الرئيس الأميركي كلمة حرّية عشرات المرّات ووعد بنشرها في كل مكان "...لتصل نارها إلى أحلك الزوايا في العالم..." رابطاً بين الحرب على الإرهاب وبين تعميم الحرّية في العالم، معتبراً إن الشعوب المقموعة هي التي تنتج الإرهاب وليس الشعوب الحرّة.

وتعهّد بنصرة الشعوب المضطهدة قائلاً "جميع الذين يعيشون في ظل الطغيان يجب أن يعلموا إن الولايات المتحدة لن تتجاهل قمعهم ولن تعذر من يقمعهم..." وتوعّد الأنظمة المستبدّة عندما قال "إن سياسة الولايات المتحدة هي السّعي إلى دعم نموّ الحركات والمؤسسات الديمقراطية في كل دولةٍ وثقافة بحيث يكون الهدف النهائي القضاء على الطغيان في العالم...".

وفي مقاطع أخرى يُظهر الرئيس بوش غيرةً على الشعوب المضطهدة أكثر من حكّامها عندما يقول "إن نجاح العلاقات الثنائية بين أميركا والأنظمة الأخرى يتوقف على كيفية معاملة هذه الأنظمة لشعوبها..." ويضيف مخاطباً هؤلاء الحكّام "لكي تخدموا شعبكم يجب أن تثقوا به، وإن نجاح علاقاتنا بكم سوف يتطلب أن تعاملوا شعوبكم بشكل كريم..." ثم يتابع كلامه عن الكرامة الإنسانية قائلاً "إيمان أميركا بالكرامة الإنسانية سوف يقود سياستنا، والحقوق يجب أن تكون أكثر من تنازلات متردّدة من الطغاة...".

وربط الرئيس بوش، كما لم يفعل غيره من رؤساء أميركا، مستقبل الحرّية في أميركا بإنتشارها وإزدهارها في العالم قائلاً: الأحداث والتفكير السليم تقودنا إلى إستنتاج واحد "إن بقاء الحرّية في بلادنا يتوقف بشكل متزايد على نجاح الحرّية في الدول الأخرى، وإن أفضل أمل للسلام في عالمنا هو توسيع الحرّية في جميع أنحاء العالم"، ومن أروع ما قاله هو التحذير المُبَطن إلى حكّام الأنظمة المارقة بقرب سقوطها والإنتقاد اللاذع الموجّه لها على لسان إبراهام لينكولن: "أولئك الذين ينكرون الحرّية على الآخرين لا يستحقونها لأنفسهم، وتحت سلطة إلهٍ عادل لا يستطيعون الإحتفاظ بها طويلاً...".

توقفنا ملياً عند كل فقرة من فقرات هذا الخطاب التاريخي، وأثارت إعجابنا كل كلمة وردت فيه، وأشعلت فينا حرارة الشوق إلى اليوم الذي نرى فيه "نار الحرّية تدفىء أولئك الذين يشعرون بها، وتحرق أولئك الذين يحاربون تقدّمها"، واليوم الذي نعاين فيه شمس الحرّية تشرق على كافة أرجاء الدنيا، وبنوع خاص على هذه المنطقة الأكثر ظلاماً وظلماً في العالم.

الأكيد إن هذا الخطاب الذي بلغ نسبة عالية جداً من الطموح غير المسبوق في تاريخ الولايات المتحدة، لن يتحقق غداً أو بعد غدٍ، ولكن الأكيد إنه حقق أمرين حتى الآن: الأول، رسم سياسة أميركا المستقبلية على قواعد من الأخلاق والمبادىء السامية، وألزم بها الإدارة الحالية والإدارات اللاحقة؛ والثاني، أعطى الشعوب المقموعة وأولها الشعب اللبناني شحنة من الأمل في التحرّر يوماً ما من جلاديها ومن أغلالها المزمنة.

كثيرون إنتقدوا هذا الخطاب، من الشرق والغرب على حدٍ سواء، ومنهم من إعتبره مجرّد كلام في الهواء أو للإستهلاك المحلي والسياسي، ومنهم الآخر من هزء به وإستعمل في إنتقاده لغة ساخرة... أما نحن فلنا رأي آخر:

١- نعتقد إنه كلام في غاية الجدّية وبرسم التنفيذ آجلاً أم عاجلاً، أولاً، لأنه صادر عن رئيس أقوى دولة في العالم، وأهمّية الكلام تكمن عادةً في حجم القوّة التي تقف وراءه، والقوي لا يحتاج كالضعفاء إلى الكذب والتملق سيّما وإن الرئيس بوش تجاوز عقدة الإنتخابات الرئاسية؛ ثانياً، لأنه قيل أمام ملايين البشر فأصبحوا شهوداً عليه؛ ثالثاً، لأن الرئيس بوش برهن حتى الآن إنه يحترم كلامه ويلتزم بما يقوله، بدليل إن مواقفه منذ ١١ أيلول إلى اليوم لم تنحرف عن مسارها ولم تتغيّر، وحربه على الإرهاب والإرهابيين ما زالت مستمرّة بأساليب وأشكال متنوّعة عسكرياً وأمنياً وسياسياً وديبلوماسياً وعقوباتٍ إقتصادية.

٢- نحن نفهم الإنتقادات الصادرة عن الأنظمة الإستبدادية وخوفها من الحرّية والدّاعين إليها، ولكن ما لا نفهمه هو إنتقادات الدول الغربية المتواصلة والمتمادية الموجّهة ضُدّ الولايات المتحدة عامة والرئيس بوش خاصة والمبنيّة على ما يبدو على عامل واحد هو الأنانية والحسد من دون أن نجد لها تفسيراً آخر... والمؤسف حقاً أن تكون تلك الدول غافلة إن الحرب على الإرهاب هي حرب الجميع ولمصلحة الجميع، وكل دولةٍ منها هي هدف معتلم سيضربها الإرهاب عاجلاً أم آجلاً إذا لم يُقضى عليه سريعاً.

إن هذا الخطاب ــ الوثيقة رفع الرئيس بوش إلى مرتبة الرؤساء التاريخيين، وكمّية القيم التي تضمّنته رفعت الولايات المتحدة إلى مستوى مسؤوليتها الكبيرة تجاه العالم، وكرّستها عن حقّ وجدارة قائدة للعالم الحرّ...

لبَّــيك لبــنان

أبــو أرز
في ٢٨ كانون الثاني ٢٠٠٥